الدُبلوماسية الشُجاعة ظاهرة تتبلور في السياسة الخارجية المعاصرة: دراسة في المفهوم والملامح

بقلم: الأُستاذ الدكتور سعد السعيدي

مدير مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية

18 شباط 2025

حقوق النشر محفوظة لمركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الابحاث والدراسات والمقالات الا بموافقة المركز، ويجوز الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا، وليس من الضروري ان تمثل المقالات والابحاث والدراسات والترجمات المنشورة وجهة نظر المركز وانما تمثل وجهة نظر الباحث

لا شك ان الدبلوماسية هي احدى اهم وسائل الدولة للتعبير عن رؤاها وللدفاع عن مصالحها وللتواصل والتفاعل مع العالم الخارجي وللترويج لثقافتها وسمعتها واثبات مكانتها في العالم، وهي اذا تنجز كل تلك الاهداف فانها تنجزها في ضوء سياسة خارجية محددة وضمن اهداف ممنهجة ومتفق عليها.

غير اننا عندما نتحدث عن الدبلوماسية ودورها قطعا لا نعنى بها معنى او مستوى محدد وثابت، فالعالم صار امام انواع مختلفة من الدبلوماسية تبدأ من الدبلوماسية التقليدية مرورا بانواع مختلفة من الدبلوماسية كالدبلوماسية الشعبية والبرلمانية والموازية والدبلوماسية الرقمية والدبلوماسية الخضراء والدبلوماسية التخصصية (التجارية، الدفاعية، القافية ... إلخ) وغيرها من الانواع، وصولا الى احدث انواع الدبلوماسية وهو ما بات يعرف بالدبلوماسية الشجاعة .

وعلى الرغم من اننا سنركز على المعنى الخاص الذي اكتسبه هذا النوع جراء تبلوره وتطوره في الولايات المتحدة وبالأخص مع وصول دونالد ترامب الى السلطة في ولايته الاولى ومن ثم في ولايته الثانية كونه اعطى زخما حقيقيا لهذا النوع من الدبلوماسية،غير اننا لا نتجاهل وضع تعميمات تتعلق بامكانية تطبيق مباديء هذه الدبلوماسية على المستوى العالمي.

وبشكل مُبسط تعني الدبلوماسية الشجاعة التركيز على اتخاذ قرارات جريئة وإجراء محادثات صعبة لضمان تحقيق تقدم حقيقي في الملفات المعقدة حصرا والتي تتجنبها على الاغلب باقي انواع الدبلوماسية انطلاقاً من الاعتقاد بشبه استحالة تحقيق مكاسب حقيقية.

ملامح الدبلوماسية الشجاعة :

اولا: اتخاذ قرارات جريئة: لا شك ان القرارات الجريئة في الدبلوماسية لا تنتج عن فراغ بل هي نتيجة للقوة والقدرة على التأثير، ومع هذا فأن التاريخ الدبلوماسي لا يخبرنا بالكثير من الحالات التي قامت بها الدول القوية بقرارت جريئة جداً في ملفات خطرة ومعقدة، فغالبا يفضل الدبلوماسيون اللجوء الى الخيارات السلمية والمضمونة والتي تحمل قدرا كبيرا من المجاملة والحلول الودية التي لا تستفز الاطراف الاخرى، غير ان الدبلوماسية الشجاعة تجاوزت هذه القيود بشكل كبير بعد ان أُسست لمنهج جديد يقوم على الجرءة التامة في القرارات المستندة الى القوة الكافية التي تضع الاطراف المعارضة امام الامر الواقع الذي يمتاز بالعزم والحدة والثبات، ومن امثلة هذه القرارات هي (نقل السفارة الامريكية الى القُدس بغض النظر عن معارضة الدول العربية والاوربية لهذا القرار ومن بينهم دول صديقة للولايات المتحدة كالسعودية وفرنسا وغيرهم وفرض اعباء مالية جديدة على اعضاء حلف الناتو).

ثانياً: اجراء محادثات صعبة: بالعادة هناك بعض التردد في اطار الانواع الاخرى من الدبلوماسية في اجراء محادثات سياسية او غيرها مع شخصيات لا يمكن اجراء حواء بناء معها نظرا لدرجة العداء العالية او التقاطع التام في الاهداف والمصالح والرؤى، غير ان الدبلوماسية الشجاعة اجرت تغيير مهم على هذا الجانب عبر عدم التردد في اجراء محادثات مع شخصيات مغلقة او ملفات ساخنة ومعقدة مثل المفاوضات التي اجراها هنري كيسنجر مع المسؤولين الصينيين اثناء ولاية الرئيس نيكسون والمحادثات التي اجراها ترامب في ولايته الاولى مع رئيس كوريا الشمالية والرئيس الروسي بوتين واستعداده للتفاوض الصريح مع بوتين لحل الازمة الاوكرانية من موقف القدرة على التأثير من جهة ومن ادراك قوة روسيا وتاثيرها من جهة اخرى، وعدم تردده في اظهارالنية في التواصل مع القيادة الايرانية والمرشد الايراني مباشرة مع التلويح بسياسة الضغوط القصوى او السماح (لإسرائيل) بقصف مفاعلات ايران النووية كنوع من الضغط الموازي .

ثالثاً: التأكيد على اولوية مصالح الدولة: من السمات الاساسية للدبلوماسية الشجاعة هي عدم تهاونها في مصالح الدولة، حيث تتشدد في تفضيل مصالح الدولة على باقي مصالح الحلفاء والشركاء والاصدقاء، حيث لا مجال للمساومة على المصالح حتى مع اقرب الدول واكثرها صداقة، وقد يبدوا هذا المنطق غريباً في عالم الدبلوماسية التي تحافظ على نهجا متوازنا ومستداما قائم على اساس المصالح المتبادلة، حيث يمكن ان تفضي هذه الدبلوماسية الى تعقد العلاقات بين الحلفاء والشركاء انفسهم بعد اتخاذهم لاجراءات مضادة، غير ان التاسيس لهذا النهج في الدبلوماسية يبدوا منصفا وفقا لوجهة نظر الفريق الذي يؤيده باعتباره يتسق مع اصل الوظيفة المكلف بها الدبلوماسيين الا وهي الحفاظ على مصالح الدولة ومنحها الاولوية تحت كل الظروف وعلى الحلفاء والشركاء والاصدقاء تفهم ذلك.

رابعا : عدم التدخل بشؤون الدول الاخرى مع ضرورة الحفاظ على استقرار النظام الاقليمي والدولي، وعلى الرغم من ان هذا المبدأ يبدوا صعب التطبيق للغاية حيث لا يسمح عالم اليوم وتداخلاته بالنأي بالنفس عن ما يدور من تفاعلات في دول اخرى، غير ان وضعه كهدف او مبدا عام للدبلوماسية الشجاعة قد يحقق بعض المكاسب على الاقل لتلك الدول التي تخشى من جعل التدخل بشؤونها الداخلية تحت مبررات عدة من بينها حقوق الانسان والديمقراطية نهجا منتظما في سياسة الدول الكبرى، او تقليدا في اطار الانشطة الدبلوماسية للدول الراغبة في التدخل بشؤون غيرها.

الدبلوماسية الشجاعة في نهج دونالد ترامب السياسي .

تعكس السياسة الخارجيةللرئيس الأمريكي دونالد ترامب على الرغم من اثارتها للجدل، او ما يبدوا على انها متهورة رؤية شجاعة وجريئة في التعامل مع التحديات العالمية، فقد اتخذت هذه السياسة منحى غير تقليدي يعتمد على مبدأ "الدبلوماسية الشجاعة"، التي تستند إلى اتخاذ قرارات قوية وفتح محادثات صعبة مع الشركاء والدول الأخرى.

من خلال التركيز على الازدهار الاقتصادي كأداة لتحقيق الاستقرار، واحترام سيادة الدول، والمطالبة بالمحاسبة المتبادلة، حيث يرجح الكثير من المتابعين ان ترامب سعى إلى إعادة صياغة العلاقات الدولية بطريقة تضمن المصالح الأمريكية أولًا، بينما تُسهم في بناء عالم أكثر توازنًا واستقراراً.

الازدهار الاقتصادي كجسر للاستقرار:

اعتمد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في سياسته الخارجية على رؤية محورية تتمثل في استخدام الازدهار الاقتصادي كوسيلة لتحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي بين الدول.

من خلال تعزيز الشراكات الاستثمارية وتوسيع نطاق التعاون الاقتصادي الذي يخدم المصالح الامريكية بالدرجةالاساس، واعادة تعريف العلاقات الاقتصادية مع الشركاء والحلفاء على اساس تعادل او تقارب المكاسب، سعى ترامب إلى إنشاء جسر يمكن من خلاله معالجة المظالم الاقتصاديةالتاريخية التي يعتقد انها لحقت بالولايات المتحدة من خلال تضحيتها بالكثير من الفرص الاقتصادية لمصلحة حلفائها وشركائها التجاريين عبر تفعيل وسيلة القيود الجمركية، وبناء علاقات قائمة على المنفعة المتبادلة، مع الدول الاخرى المنافسة كالصين وبخلافه لا يتردد في فرض عقوبات اقتصادية تستهدف اجبار الصين وبعض الدول الاخرى الى اعادة ترتيب علاقاتها وانشطتها الاقتصادية مع الولايات المتحدة بما يضمن المصالح الامريكية.

كانت هذه الاستراتيجية تهدف إلى تحقيق نمو اقتصادي امريكي و عالمي مستدام، يسهم في تخفيف حدة الصراعات وتعزيز السلام وفقا لما يعتقده ترامب.

ما هي الدبلوماسية الشجاعة لدونالد ترامب ؟

أحد أبرز مباديء سياسة ترامب الخارجية هو التركيز على اتخاذ قرارات جريئة وإجراء محادثات صعبة لضمان تحقيق تقدم حقيقي في الملفات المعقدة، وركز في هذا المجال على ملفين اساسيين الاول يتعلق بأهمية انهاء الحروب باسرع وقت مع عدم استبعاد التلويح بها كالضغط على الاطراف المتحاربة لانهاء الحرب والتفاوض وفقا للرؤية الامريكية للحرب بين روسيا واوكرانيا وبين (إسرائيل) وغزة، ، اما الثاني فهو الملف الاقتصادي

(تجارة، طاقة، إستثمار).

حيث اعتبر ترامب أن الدبلوماسية الفعالة تتطلب مواجهة التحديات دون تردد، مع التركيز على بناء الثقة بين الدول والحفاظ عليها.

هذه المقاربة أظهرت أحياناً نتائج ملموسة في ملفات حساسة، مثل التطبيع بين بعض دول (الشرق الأوسط) مثل الامارات والبحرين (واسرائيل) أو المفاوضات التجارية مع قوى عالمية كالصين.

مع ضرورة التأكيد على ان ايجابيات هذا النهج الدبلوماسي يخص الولايات المتحدة حصراويخدم مصالحها بالدرجة الاساس، فمن الطرف المقابل هناك الكثير ممن يرون ان هذا النهج معادي وبشكل صارخ لمصالح الدول الاخرى.

مفهوم احترام السيادة عند ترامب كوسيلة لتنفيذ الدبلوماسية الشجاعة :

أكد ترامب في خطاباته وسياساته على مبدأ احترام سيادة الدول، حيث شدد على حق كل أمة في تحديد مسارها الخاص بعيداً عن تدخل القوى الخارجية. رأى ترامب ايضا أن التدخلات السياسية أو العسكرية في شؤون الدول الأخرى غالبًا ما تؤدي إلى نتائج عكسية لا سيما في مجال حقوق الانسان او فرض القيم الغربية على الاخرين، مما دفعه إلى تقليص دور الولايات المتحدة في العديد من النزاعات الدولية والتركيز على مصالحها الوطنية، بل انه اعتبر ان الوكالة الامريكية للتنمية الدولية فضلا عن انها تستنزف الموارد الامريكية لكنها وسيلة اساسية لانتهاك سيادة الدول الاخرى والتدخل في شؤونها الداخلية، الامر الذي دفعه الى اغلاقها.

المعاملة بالمثل والمحاسبة:

تضمنت سياسة ترامب مبدأ المعاملة بالمثل، حيث طالبت الولايات المتحدة شركاءها باتخاذ خطوات متبادلة لتحقيق التوازن في العلاقات. كما كان مبدأ المحاسبة حاضراً بقوة، إذ تم فرض عقوبات اقتصادية على الدول التي لا تلتزم بالاتفاقيات الدولية أو تنتهك الحقوق الأساسية.

تميزت سياسة ترامب الخارجية بمزيج من الجرأة الاقتصادية والبراغماتية السياسية، ما أحدث تغييرات ملحوظة في المشهد الدولي، وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهت لهذه السياسة، إلا أنها أسست لفهم جديد حول كيفية تحقيق المصالح الوطنية في عالم متعدد الأقطاب.

ما نريد ان نختم به كلامنا هو ان الدبلوماسية الشجاعة هي احدى احدث انواع الدبلوماسية واكثرها اهمية ووضوح وتجد بعض تطبيقاتها اليوم في السياسة الخارجية التي يقودها فريق دونالد ترامب، غير ان الملاحظة الاكثر اهمية هنا هي ان هذا النوع من الدبلوماسية تحتاج الى قدرات كبيرة لتطبيقها على ارض الواقع من جهة

كما انها تتشدد في منح الاولوية لمصالح الدولة دون مراعاة كافية لمصالح الحلفاء والشركاء مما قد يفضي لاحقا الى احداث خلل في بنية النظام الدولي القائم على اساس علاقات وتكتلات معينة تحافظ على شكله وطبيعته